مقـدمة

الحمد لله رب العالمين الذى قال فى محكم تنزيله « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً»، والذى أمرنا أن ندعوه سبحانه وتعالى إلى المزيد من العلم وذلك فى خطابه إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم « وقل رب زدنى علماً » . . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلق الله الذى أمرنا بأن نطلب العلم من المهد إلى اللحد ، والذى أخبرنا بعظم أجر العلماء عند الله . . صلاة وسلاماً عليه ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد . .

تعد الموهبة هى المنفذ الذى تسعى خلفه تلك المجتمعات التى تريد أن تسطر لها تاريخاً ، وأن يكون لها إسهامها الواضح فى الحضارة البشرية بأسرها مما يجعل لها دوراً بارزاً فى تلك الحضارة ، ويكسبها بالتالى مكانة مرموقة بين الأمم . ولذلك تعمل مثل هذه المجتمعات جاهدة من خلال أساليب علمية مقننة على الكشف عن الموهوبين حتى تتمكن من صقل مواهبهم لأنهم بطبيعة الحال هم الذين سيقومون برفع راياتها فى كافة المحافل المختلفة من خلال إسهاماتهم المتعددة التى لا يستبعد لها أن تعيد تشكيل وهيكلة الحضارة البشرية من جديد . ومن هذا المنطلق تمثل رعاية الموهوبين الأساس ونقطة الإنطلاق فى سبيل ذلك إذ تمثل تلك الرعاية استثماراً على المدى البعيد ، ومن ثم فإن ما يتم صرفه على أعضاء فئات الموهوبين لا يضيع هباء ، بل يظهر مردوده بعد سنوات عديدة على هيئة إسهامات وإنجازات ومبتكرات متعددة فى كل مجالات الحياة تقريباً حيث لا نستبعد من خلال تلك الرعاية أن يظهر بيكاسو جديد ، أو موزارت جديد ، أو بيتهوفين جديد ، أو مارادونا آخر ، أو نجيب محفوظ آخر ، أو أحمد زويل جديد ، أو غير ذلك من مثل هؤلاء الأعلام البارزين فى شتى الجوانب .

وتعمل الدول المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية على تنفيذ برامج معينة تهدف من خلالها إلى تنمية المواهب المختلفة وتطويرها . ومن هذه البرامج تلك التى تقوم على نموذج الهاءات الأربع 4- H model والتى تعرف ببرامج الهاءات الأربع 4- H programs . وتشير كل(H) من هذه الأربعة إلى مصطلح يبدأ بذلك الحرف ، وهذه المصطلحات هى الرأس Head والقلب Heart واليدين Hands والصحة Health . وتمثل تلك البرامج مجموعة من البرامج القومية للأطفال والمراهقين الموهوبين تقوم على هذا النموذج ، وتعمل على تنمية مواهبهم بجوانبها المختلفة ، وعلى إكسابهم المهارات الحياتية المتعددة التى تسهم فى إعدادهم للحياة فى مجتمع متطور . وتقوم العديد من المعاهد التابعة للجامعات الأمريكية المختلفة على تطبيق مثل هذه البرامج والتطوير فيها ، ويساندها فى ذلك عدد من النوادى التى تقدم المساعدات اللازمة لتطبيق تلك البرامج . وتقوم كل مجموعة من البرامج على أساس أحد تلك الهاءات الأربع ، وتعمل على تنميته من خلال تطوير جانب معين من جوانب الموهبة . وتعمل بعض المدارس على تطبيق بعض هذه البرامج بحيث تختار المدرسة لنفسها برنامجاً واحداً أو أكثر من بينهم . ومن هذه البرامج ما يتعلق بالرياضة ، أو القيادة ، أو الزراعة ، أو الأمور الصحية المختلفة ، أو البيئة ، أو تربية الحيوانات المختلفة أو رعايتها من الناحية البيطرية ، أو الاهتمام بالحدائق ، أو الزهور ، أو التصوير ، أو الحرف المختلفة ، أو الفنون الأدائية ، أو الفنون الجميلة Fine arts ، أو غيرها . ويضم كل برنامج مجموعة من الأنشطة المختلفة ، أو السلوكيات الاجتماعية ، أو تلك السلوكيات التى تتعلق بأمور معينة كالأخلاقيات ، أو احترام حقوق الآخرين ، أو غير ذلك . ويشترك فى تنفيذ مثل هذه البرامج الوالدان ، والمعلمون ، والكشافون ، والقادة المسئولون عنها ، وكافة مؤسسات المجتمع وذلك بشكل يضمن لها النجاح وتحقيق تلك الأهداف التى تم تحديدها لها .

ومما لا شك فيه أن هناك أساليب مختلفة تتبع فى الكشف عن المواهب . وتتضمن مثل هذه الأساليب ملاحظات الوالدين ، وترشيحات المعلمين ، وترشيحات الخبراء ، وترشيحات الأقران ، والتقارير الذاتية ، ومقاييس الذكاء ، والاختبارات التحصيلية ،

واختبارات التفكير الإبتكارى والإبداعى إلى جانب اختبارات الشخصية . وتمر عملية الكشف عن الموهوبين ورعايتهم بخمس مراحل أساسية على النحو التالى :

١ـ مرحلة المسح والفرز المبدئى : screening

ويتم خلالها التعرف على أولئك الأطفال الموهوبين الذين يتم ترشيحهم من خلال الأساليب المختلفة التى عرضنا لها سلفاً .

٢ـ مرحلة التشخيص والتقييم :

ويتم خلالها التأكد من تلك الملاحظات التى يكون قد أبداها أولئك الأشخاص الذين قاموا بترشيح هذا الطفل أو ذاك ليكون من الموهوبين . كما يتم خلالها أيضاً تطبيق المقاييس المختلفة التى يمكن من خلالها الحكم على موهبة الطفل ، أو ملاحظة الإنتاج الفنى للطفل وخاصة فيما يتعلق بالفنون الأدائية ، وتحديد مدى مطابقته للمعايير الفنية بما يجعل منه طفلاً موهوباً أو غير ذلك .

٣ ـ تقييم الإحتياجات :

ويتم خلال هذه المرحلة تصنيف الأفراد الموهوبين إلى فئات مختلفة بحسب مواهبهم، ويتم تحديد الاحتياجات الخاصة بكل فئة من هذه الفئات وكيفية الوفاء بها وإشباعها .

٤ ـ اختيار البرنامج المناسب والتسكين :

ويتم خلال هذه المرحلة اختيار ذلك البرنامج الذى يناسب موهبة الطفل حتى يتم تسكينه فيه بما يحقق الاستفادة القصوى منه .

٥ ـ التقييم :

وتمثل هذه المرحلة آخر المراحل الخمس التى يتم اتباعها فى هذا الإطار ، ويتم خلال هذه المرحلة تقييم الطفل والأنشطة والبرامج التى يكون قد تلقاها ومدى استفادته منها حتى يتسنى لنا تحديد ما عسانا أن نفعله فى مثل هذا الإطار آنذاك .

ولا يخفى علينا أن هناك استراتيجيات تربوية معينة يمكن استخدامها مع الأطفال والمراهقين الموهوبين حتى يمكن من خلالها رعاية مواهبهم والعمل على تنميتها وتطويرها . ومن هذه الاستراتيجيات ما يلى :

أولاً : التسريع أو الإسراع التعليمى : acceleration

ويمكن تنفيذ هذه الاستراتيجية من خلال أكثر من أسلوب وذلك على النحو التالى :

- التبكير بدخول الطفل الروضة .
- التبكير بإلحاق الطفل بالمدرسة الإبتدائية .
- تخطى بعض الصفوف الدراسية . skipping
- الإسراع فى تعليمه مقررات دراسية معينة .
- إنهاء المرحلة التعليمية قبل زملائه .
- القيد المتزامن ؛ وذلك فى أكثر من صف دراسى واحد ، أو فى أكثر من مرحلة تعليمية واحدة .
- الفصول المجمعة ؛ وهى تلك الفصول التى يتجمع فيها الأطفال لدراسة مادة دراسية معينة ، ثم يعودوا بعد ذلك إلى فصولهم الأصلية التى يكونوا مقيدين بها .

ثانيا : الإثراء التعليمى : enrichment

ويمكن الاستفادة من هذه الاستراتيجية عن طريق اتباع عدد من الأساليب المختلفة وذلك كما يلى :

- دراسة مقررات متقدمة .
- توسيع المنهج وتعميق محتواه .
- الاستفادة من الكمبيوتر والإنترنت .
- تحديد واجبات منزلية وأنشطة إضافية ينبغى على الطفل أن يؤديها .

obeikandl.com

ـ قيام الطفل بمشروعات بحثية معينة ذات خصوصية .

ـ قيام الطفل بكتابة تقارير حول موضوعات معينة لا يمكن أن يقوم بها إلا من هم على شاكلته .

ـ وضع أولئك الأطفال فى فصول خاصة بهم كما هو الحال بالنسبة لفصول المتفوقين فى بعض مدارسنا .

ـ الاستفادة من نوادى العلوم والفنون .

ثالثاً : التجميع : groupings

ويتم ذلك بوضع أولئك الأطفال فى مجموعات متجانسة تضم الأقران الذين يشبهونهم فى معدلات الذكاء أو الاهتمامات أو المهارات والمواهب . ويمكن أن تتخذ مثل هذه المجموعات أحد الأشكال التالية :

ـ أن تخصص لهؤلاء الأطفال مدارس خاصة بهم كما هو الحال بالنسبة لمدارس المتفوقين ، أو المدارس الرياضية ، أو معهد البالية ، أو الكونسورفاتوار ، أو مدارس العلوم أو الرياضيات فى كثير من البلاد الأجنبية والتى تعرف بالأكاديميات ، وغيرها .

ـ أن تخصص لهم فصول معينة بالمدرسة ، وتأخذ تلك الفصول فى الغالب شكل فصول المتفوقين بحيث يكون لها متطلبات معينة لا تتوفر فى البرنامج المدرسى العادى الذى يتم تطبيقه على جميع الفصول التى تضمها المدرسة ما عدا تلك الفصول .

ـ أن يتم تجميعهم فى فصول معينة لبعض الوقت فقط ثم يعودوا بعد ذلك لفصولهم الأصلية على أن يقوموا بدراسة متطلبات معينة أثناء تجميعهم المؤقت خارج فصولهم الأصلية .

أما بالنسبة للكتاب الذى بين أيدينا فهو يعرض لرعاية الأطفال والمراهقين الموهوبين من خلال منحى آخر يعرض فيه إلى جانب تلك الاستراتيجيات التربوية التى تستخدم فى المدارس بغرض رعاية الموهوبين والتى عرضنا لها سلفاً لبعض الأمور ذات الأهمية

والمشكلات التى يمكن أن يواجهها الأطفال الموهوبون وأسرهم والتى يمكن أن تترك آثاراً سلبية على شخصياتهم وعلى مستوى مواهبهم وقدراتهم المختلفة ، أما إذا أحسنت الأسرة التعامل مع تلك الأمور يصبح من الأكثر احتمالاً أن تكون هناك آثار إيجابية لها من شأنها أن تسهم بدرجة كبيرة فى تنمية مواهبهم وقدراتهم وتطويرها . وإلى جانب ذلك يعرض الكتاب أيضاً لتلك الجهود والممارسات التى يمكن أن يقوم بها المعلمون فى المدرسة بتوجيه من إدارتها فى سبيل تعضيد ما تبذله الأسرة من جهود فى هذا الصدد بحيث يكون من الأكثر احتمالاً بالنسبة لذلك التواصل الذى يمكن أن يحدث بين هذين الطرفين أن تكون له نتائج إيجابية على الطرف الثالث أو الضلع الأخير فى المثلث وهو الطفل حيث يمكن تشبيه العلاقة بين هذه الأطراف الثلاثة التى تتمثل فى الأسرة والطفل والمدرسة بمثلث يمثل كل طرف ضلعاً فيه .

وعندما يعرض الكتاب لذلك الأمر فإننا نلاحظ وجود ثلاثة أقسام يعرض كل منها لبعض هذه الموضوعات بحيث تتكامل معاً لتعطى رؤية كاملة عن هذا الموضوع تتضمن تلك الآليات الحديثة التى دخلت هذا المجال وأصبحت تستخدم فيه على نطاق واسع وأضافت إليه عمقاً جديداً حيث أضحت تلعب دوراً هاماً فى تشكيل الموهبة وتنميتها وتطويرها . وتتمثل تلك الآليات الحديثة فى تكنولوجيا المعلومات والتى تتمثل هنا فى الكمبيوتر والإنترنت بكل ما يمكن أن تضيفه إلى هذا المجال وما يمكن أن تثيره أو تسهم به أيضاً شريطة أن يحدث ترشيد لاستخدامها وتوجيه لذلك الاستخدام يعود بالفائدة على الطفل أو المراهق الموهوب .

ويتناول القسم الأول من الكتاب اكتشاف موهبة الطفل وكيفية رعايتها فى كل من الأسرة والمدرسة وذلك من خلال سبعة عشر موضوعاً تتناول اكتشاف موهبة الطفل منذ العام الأول من حياته من خلال ملاحظات الوالدين لما يبديه من إشارات ودلائل على ذلك ، والاختبارات النفسية التى يمكن من خلالها التأكد من تلك الموهبة والتى يتحدد فى ضوئها ما إذا كان يمكن للأسرة أن تلحق طفلها بالروضة أو المدرسة فى وقت مبكر عن أقرانه أم لا . كما يعرض القسم أيضاً لتلك المحكات التى يجب أن تتوفر فى الروضة

أو المدرسة حتى تتمكن من رعاية المواهب المختلفة ، وكيفية قيام الأسرة بتعزيز التعلم من جانب الطفل ودعمه ، وغرس حب القراءة فى الأطفال ، وتقديم الإثراء التعليمى اللازم لهم ، وتعويدهم هلى عادات حسنة للاستذكار وأداء الواجبات المنزلية ، وتقييم مدى تقدمهم فى ذلك . ويعرض هذا القسم إلى جانب ذلك لتلك الاستراتيجيات التربوية التى يتم استخدامها بالمدارس فى هذا الخصوص والتى تتمثل فى التسريع التعليمى والتجميع وتخطى بعض الصفوف الدراسية إضافة إلى التواصل بين الأسرة والمدرسة ، وتقديم بدائل تثير التحدى من جانب المراهقين الموهوبين ، وكيف يمكن لمثل هؤلاء المراهقين تحقيق التوافق فى الجامعة . ويختتم هذا القسم بالتوجيه المهنى للمراهقين الموهوبين حتى يمكن مساعدتهم على اختيار التعليم العالى الملائم لقدراتهم وموهبتهم ، وتحقيق إنجازات مناسبة فى تلك المهنة التى سيختارونها ويعملون بها مستقبلاً والتى تتناسب مع قدراتهم واهتماماتهم ومواهبهم .

أما القسم الثانى من الكتاب فيتناول بعض الأمور الأسرية التى تتعلق بالأطفال الموهوبين وكيف يمكن لتلك الأمور أن تؤثر عليهم ، وكيف يمكن للوالدين علاجها وتطويعها لصالح أطفالهم وذلك من خلال ثمانى موضوعات هامة فى هذا الإطار . ومن هذه الأمور تلك المشكلات التى تنجم عن وجود طفل واحد فى الأسرة ، وأهمية اتخاذ الوالدين لأسلوب موحد فى التعامل مع أطفالهما ، والدور الذى يمكن أن تلعبه جماعات المساندة الوالدية والمنظمات القومية فى هذا الصدد . ثم يعرض بعد ذلك للعلاقات السائدة بين الأخوة فى الأسرة والعلاقات مع الأجداد والأقارب الآخرين ، وقيام أحد الوالدين فقط برعاية الأبناء نظراً للتفكك الأسرى وكيف يمكن لكل تلك الأمور أن تؤثر على مواهب وقدرات الأطفال . ثم يعرض أخيراً للأسر المؤلفة أو الائتلافات الأسرية كحل لما يمكن أن ينشأ عن التفكك الأسرى من مشكلات ، وتدارك ذلك الأمر فى سبيل تنمية وتطوير مواهب الأطفال .

ويتناول القسم الثالث والأخير خمسة عشر موضوعاً تمثل أموراً أخرى تتعلق بنفس الموضوع كالإفراط فى المديح أو الثناء والتعزيز الإيجابى ، والإبداع والتظاهر والكذب ،

والتنافس فى المنزل والمدرسة ، والكمالية أو المثالية فى مقابل التفوق والتميز . كما يعرض لموضوعات أخرى على درجة كبيرة من الأهمية كالأطفال الموهوبين ذوى الإعاقات ، والأطفال المبدعين منخفضى التحصيل ، والمواهب الفنية ، والتفكير الإبتكارى ، والمجازفة من جانب الأطفال الموهوبين الذين تتم إعاقتهم عن النشاط أو التعبير أو العمل كالأطفال الخجولين مثلاً ، إلى جانب انخفاض التحصيل ، وبعض الأمور النوعية gender التى تتعلق بكل من البنات والبنين الموهوبين . ويعرض القسم كذلك لتلك الضغوط التى يسببها الأقران للأطفال الموهوبين ، وتلك الضغوط والتوترات التى تنجم عن درجاتهم التى يحصلون عليها فى المدرسة . ثم يختتم القسم بالآليات الحديثة فى إطار تكنولوجيا المعلومات متمثلة فى الكمبيوتر والإنترنت ، وكيف يمكن أن تسهم فى تنمية المواهب والقدرات بشرط أن يتم ترشيد استخدامها وتوجيه المراهقين نحو الاستخدام الأمثل لها .

وأخيراً . . أسأل الله أن أكون قد وفقت فى عرض هذا الكتاب بعد ترجمته وتنقيحه ، وأن يضيف جديداً إلى المكتبة العربية فى علم النفس والصحة النفسية عامة ، وفى مجال التربية الخاصة بشكل خاص والموهوبين على وجه التحديد ، وأن يجد فيه الآباء والمعلمون والباحثون فى هذا المجال ضالتهم المنشودة التى يمكن أن تفتح لهم آفاقاً جديدة يسهمون بها ومن خلالها فى تربية ورعاية مثل هؤلاء الأطفال بحيث يقدمون للمجتمع علماء وخبراء ومبتكرين وفنانين ورياضيين وخلافهم يضعون على عاتقهم النهوض به وتقدمه ورفعته . .

وعلى الله قصد السبيل

أ. د/ عادل عبد الله محمد